المحاضرة 05: الأنثروبولوجيا في أوروبا في عصر النهضة والأنوار

تمهيد:

يتفّق المؤرخون على أن عصر النهضة في أوروبا، بدأ مع نهاية القرن الرابع عشر الميلادي وبداية القرن الخامس عشر، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية تزامنا مع حركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية. وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر ، يليه عصر التنوير كحركة فكرية وفلسفية هيمنت على عالم الأفكار في أوروبا بداية من القرن الثامن عشر، وفيما يلي سنتناول عدد من الإسهامات الأنثروبولوجية التي شهدتها هذه الحقبة.

1) الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية :

لعل أهم الرحلات الاستكشافية التي أثّرت في علم الأنثروبولوجيا، ما قام بها **كريستوف كولومبوس** إلى القارة الأمريكية ما بين **(1492 – 1502)** حيث زخرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، واتّسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة، وهكذا فقد كان لرحلاته الأثر الكبير في إدخال أوروبا حقبة جديدة، وفي تغيير النظرة إلى الإنسان عامة والإنسان الأوروبي خاصة، مما أثّر بالتالي في الفكر الأنثروبولوجي. كون هذه الاكتشافات الجغرافية – الاجتماعية وما تبعها من معرفة سكان هذه الأرض بميزاتهم وأنماط حياتهم، أظهرت بوضوح تنوع الجنس البشري، وأثارت كثيرا من المسائل والدراسات حول قضايا النشوء والتطور عند الكائنات البشرية.

وفي هاته الحقبة، وبالتحديد سنة **1502** ظهر مصطلح **أنثروبولوجيا** عنوانا لكتاب المفكر **هونت** تناول فيه الخصائص الجسمانية للإنسان، كما ورد المصطلح في كتاب للمفكر **كابيلا** عام **1533** الذي تضمن دراسات عن الصفات الفردية للانسان ، تلتها إسهامات عدد من العلماء والمفكرين أمثال **ميسي** و **جون بودان** ، و**ميشيل دي مونتي** وغيرهم....

لقد تميز عصر النهضة الأوروبية، بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان، وهي أن المفكّرين اتفقوا على الرغم من تباين وجهات نظرهم على مناهضة فلسفة العصور

الوسطى **اللاهوتية (الإلهية)** التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها، وتكوين الطبيعة وقوانينها، وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية. وقد ظهر في القرن السابع عشر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتّجاه لدراسة الإنسان عرف **بالمذهب الإنساني (العلمي)** يقتضي دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث اتّجهت دراسة الطبيعة الإنسانية وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية التطورية للإنسان، وقد تبلور هذا الاتّجاه العلمي في الدراسات التجريبية والرياضية، التي ظهرت في أعمال بعض علماء القرن السابع عشر أمثال: **فرانسيس بيكون (1561-1626)**، **ورينيه ديكارت (1596-1650)**، **وإسحاق نيوتن (1642-1727)** وغيرهم...، حيث أصبحت النظرة الجديدة للإنسان على أنّه ظاهرة طبيعية، ويمكن دراسته من خلال البحث العلمي والمنهج التجريبي، ومعرفة القوانين التي تحكم مسيرة التطور الإنساني والتقدم الاجتماعي . وهذا ما أسهم في تشكيل المنطلقات النظرية للفكر الاجتماعي، وأدى بصورة تدريجية إلى بلورة البدايات النظرية للأنثروبولوجيا خلال عصر التنوير.

2) الأنثروبولوجيا في عصر التنوير :

ويأتي القرن الثامن عشر، ليحمل معه اسهامات **جان جاك روسو (1712-1778)** التي كانت لها أهمية كبيرة لدى مؤرخي علم الأنثروبولوجيا، وذلك بالنظر لما تضمنته في دراستها الأثنوجرافية للشعوب المكتشفة (المجتمعات البدائية) مقارنة مع المجتمعات الغربية الأوروبية، فقد تميزت وجهة النظر الأنثروبولوجية عند **روسو** بالتجرد والموضوعية، وتجلّى ذلك في نقد بعض القيم والجوانب الثقافية في مجتمعه الفرنسي، مقابل استحسان بعض الطرائق الحياتية في المجتمعات الأخرى. وفي هذا الإطار يعد كتابه **العقد الاجتماعي** من الاسهامات الأولى للفكر الأنثروبولوجي.

وإلى جانب **روسو** شكلت اسهامات البارون **ميشال دي مونتسكيو (1689-1755)** التي تضمنها كتابه **روح القوانين** ، والتي أوضح من خلالها فكرة الترابط الوظيفي بين القوانين والعادات والتقاليد والبيئة قاعدة لسيادة هذه الفكرة الترابطية في أعمال الأنثروبولوجين في أوائل القرن العشرين، سيما الأنثروبولوجيين الإنجليز، حيث انتقل اهتمام **مونتسكيو** بدراسة النظم السياسية وتأثير المناخ على الحضارة أو الثقافة فيما بعد إلى الكتابات الأنثروبولوجية، وشكّل مجالاً واسعاً للدراسات

الأنثروبولوجية.

أما في ألمانيا فقد تبلور الفكر في عصر التنوير عن التفوق العنصري والنزعة القومية **الشوفينية** (التعصبية). وظهر ذلك واضحاً في كتابات كل من **فلاديمير ويليم هيجل (1770–1831) وجوهان فخته (1762–1814)**، حيث جعلا الشعب الألماني، الشعب الأمثل والأنقى بين شعوب العالم

خلاصة:

بصفة عامة يمكن القول بأن مختلف الاسهامات والكتابات التي أتى بها المفكرون والفلاسفة في عصر النهضة و**التنوير** أسهمت وبدرجة كبيرة في بلورة الأنثروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر كعلم يدرس تطور الحضارة البشرية في إطارها العام وعبر التاريخ الإنساني. الأمر الذي استلزم توافر الموضوعات الوصفية عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، في أوروبا وخارجها، من أجل إجراء المقارنات، والتعرف إلى أساليب حياة هذه الشعوب وترتيبها بحسب مراحل تطورية معينة ، بحيث يضع ذلك أساساً لنشأة علم الأنثروبولوجيا

المراجع المعتمدة:

1) أحمد ماجد: **الأنثروبولوجيا: التعريف، الهدف، الاتجاهات النظرية** ، تمت زيارة الموقع بتاريخ : 2022/10/10، على الرابط: https://maarefhekmiya.org

2) عبد القادر الهواري: **الأنثروبولوجيا المستقبلية مدخل لدراسة مستقبل الشعوب والجماعات** ببلومانيا للنشر والتوزيع، مصر، 2020

3) Britta Rupp-Eisenreich: **Histoires de l'anthropologie: XVIe-XIXe siècle,** Colloque La Pratique de l'anthropologie aujourd'hui, 19-21 Novembre, 1981.